(١)

قصائد الهمشرى التى جمعها

محمد فهمى

سنة ١٩٤٥

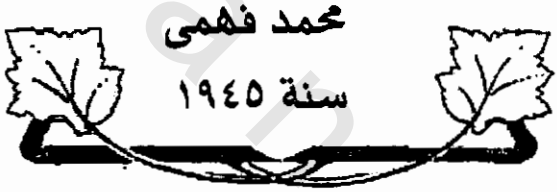

obeikan.com

obeikan.com

م . ع . الهمشري

يوليو ١٩٠٨ – ديسمبر ١٩٣٨

بقلم: محمد فهمي

إذا ذُكرَ الهمشرى فقد ذكر شاعر الطبيعة المصرية والروح المصرية فى سحرها العميق، وجلالها الرائع. ففى كل قصيدة لهذا الشاعر نشعر بإحساس يشابه ذلك الذى نحسه حين نتنقل بين هياكل مصر القديمة الخالدة حيث يمتزج السحر بالجمال والجلال.

وكأن الطبيعة فى شعره تحيا وتتنفس مجسمة بكل خصائصها المميزة بألوانها وأعطارها، بهجيرها وزمهريرها، بسكونها العميق وصمتها الممتد فلا تحس حين تقرأ شعره أن شاعراً يصف الطبيعة بل الطبيعة نفسها تنطق على لسان شاعر.

والهمشرى يتميز شعره بالألوان رغم تعدد آفاق المعانى التى تفجرها تعابيره المبتكرة، فالعطر قمري، والنغم وضيء، واللحن مفضض، والسكون مشمس... وهكذا من المعانى التى تبدو لأول وهلة لغرابتها وبعدها عن المألوف فى الأدب العربى ولكن الجو الذى يخلقه الشاعر يجعل هذه المعانى منسجمة تمام الانسجام حتى لتختفى منها وحشة الغرابة وتتحول إلى استثارة الإعجاب، وخطورة هذا الضرب من المعانى تكون فى تقديمه دون تهيئة جوه الملائم فى القصيدة، ذلك الجو الذى تخلقه حالة انفعال الشاعر واهتزازاته النفسية فى شبه سيال كهربائى يلمس روح القارئ فيشيع لديه جواً مماثلاً يجعله مستعداً لقبول هذه المعاني.

والموسيقى فى شعر الهمشرى أمواج متدفقة من أغوار روحه تتراقص أصداؤها متسابقة إلى أعماق النفس فهى أحياناً تهزها من نشوة الطرب، وأحياناً تجنح بها إلى سكون لذيذ، وآناً تفعل فيها فعل المخدر ولا ينسى أثرها قط. ومن أشعاره إلا موسيقى ملونة أو صور موسيقية... وإذا قرأت شعر الهمشرى دون استجابة لأنغامه الموسيقية مكتفياً بتذوق معانيه فاتك من روعته الشيء الكثير.

نشأ الهمشرى ببلدة السنبلاوين بجوار المنصورة عاصمة الدقهلية، أى فى أحفل بقاع مصر بالجمال الصامت (الطبيعة) والجمال الحى (الجمال البشري) وفى هذه البيئة الحافلة بكل شيء جميل، قضى طفولته وصدر شبابه، وطفولة الشاعر أهم ينبوع

لمعانى شعره، فجاءت أشعاره صدى لإيقاع الجمال على قيثار روح نبيل... تطالعنا فيها أفتن صور الريف المصرى والطبيعة المصرية وكأنما ننظر إليهما فى مرآة، وقصائده: «العودة» و«أغنية النخيل» و«اليمامة»... صور خالدة للريف المصري.

وأواخر دراسته الثانوية بالمنصورة وأوائل عهده (الذى لم يطل) بكلية الآداب بالجيزة أخذت شاعريته فى تلك السن المبكرة تكمل ونبوغه يشرق راسماً فى آفاق الشعر صوراً ومشاهد تدهش الرائين، وكانت ملحمة شاطئ الأعراف أثراً باذخاً لشاعريته فى تلك السن المبكرة، وقد نشرت حينئذ بجريدة السياسة الأسبوعية مصدرة بمقدمة لرئيس تحريرها ندر أن كتبت لشاعر، كلها ثناء وإعجاب بالشاعر النابه، وهكذا شاء القدر الذى قضى أن تقطف حياة الهمشرى فى ريعان الشباب أن يكون نبوغه مبكراً حتى تتم روعة قصيدة حياته فى كلا المطلع والمقطع، وهل كانت حياة الهمشرى إلا قصيدة رائعة وصفها رفيق صباه الشاعر صالح جودة فى رثائه الموجع الخلاب؟

إن ملحمة شاطئ الأعراف التى كانت وما زالت حدثاً شعرياً بعيد الأثر ستظل شاهداً ناطقاً على عمق هذا الشاعر وثرائه الطائل فى عالم المعانى فوق قدرته على التعبير الرصين، وأنها لجديرة أن يفرغ لها أكثر من واحد من النقاد والمفكرين، وسيفرغون لها بلا شك فى يوم من الأيام لجلاء ما فيها من عجائب الخيال وروائع التصورات.

أما قصائده: «النارنجة الذابلة»، و«جنا الفاتنة»، فهما من أبدع هدايا الشعر الحديث، وسيظل ما فى الأولى من عذوبة وما فى الثانية من شاعرية مبدعة معيناً لا ينضب لكل جيل.

والخيال عند الهمشرى طليق جرئ يقتحم أبعد الآفاق ويتخطى أعلا الذرى، وإذا سيطر على موضوع القصيدة رأيت منه ما يدهش ويشوق وإن كان غالباً ما يميل إلى الظلام والكآبة والحزن، حتى لا تكاد تخلو قصيدة أطلق فيها لخياله العنان من ذكر الموت وكأنما قد ألهم خاتمته الوشيكة!

وقد كان رحمه الله يتمثل فيه كبرياء الفنان فما مدح قط، وما كان لمثله أن يمدح أميراً أو وزيراً، وهل الفنان الحق إلا أمير متوج على أعظم مملكة فى الوجود ألا وهى مملكة الفكر؟!

وإثر عملية جراحية قضى الشاعر نحبه، ولما يجاوز الثلاثين، مخلفاً وراءه شفقاً شعرياً لا يغيب حافلاً بالصور والألوان والأنغام...

النارنجة الذابلة

كانت لنا عند السياج شجيرة ... ألف الغناء بظلها الزرزورُ
طفق الربيع يزورها متخفياً ... فيفيض منها فى الحديقة نور
حتى إذا حل الصباح تنفست ... فيها الزهور وزقزق العصفور
وسرى إلى أرض الحديقة كلها ... نبأ الربيع وركبه المسحور

***

كانت لنا .. يا ليتها دامت لنا ... أو دام يهتف فوقها الزرزور

***

قد كنت أجلس صوبها فى شرفتي ... أو كنت أجلس تحتها فى ظلتي
أو كنت أرقب فى الضحى زرزورها ... متهللاً يغشى نوافذ غرفتي
طوراً ينقّر فى الزجاج وتارةً ... يسمو يزرزر فى وكار سقيفتي
فإذا رآنى طار فى أغرودة ... بيضاء واستوفى غصون شجيرتي
كانت لنا.. يا ليتها دامت لنا ... أو دام يهتف فوقها الزرزور...

***

فمتى يؤوب هتافه ومتى أرى ... نوارك الثلجى يا نارنجتي؟
ومتى أطير إليك.. ترقص مهجتي ... فرحاً وآخذ مجلسى من شرفتي...

***

هيهات لن أنسى بظلك مجلسي ... وأنا أراعى الأُفْقَ نصف مغمضِ
خنقت جفونى ذكريات حلوة ... من عطرك القمرى والنغم الوضي
فانساب منك على كليل مشاعري ... ينبوعُ لحنٍ فى الخيال مفضضِ
وهفت عليك الروح من وادي[1] الأسى ... لتعب من خمر الأريج الأبيضِ...

(١) المراد به الجسم.

كانت لنا يا ليتها دامت لنا ... أو دام يهتف فوقها الزرزور

***

هيهات.. لن أنسى ضحى «سبتمبر» ... والنحل يغشى نورك المتلالِ
ومساء مارس كيف يهبط تلة ... شفقية ممدودة الأظلال
نزل الحديقة تحت أرهام الندى ... وضفى عليك معطر الأذيالِ
فهناك كم ذهبية شغفتْ بها ... روحى فتاهت فى مروج خيال...

***

وهنا تحركت الشجيرة فى أسى ... ويكى الربيعَ خيالها المهجور
وتذكرت عهد الصبى فتأوهت ... وكأنها بيد الأسى طنبور
وتذكرت أيام يرشف نورها ... ريق الضحى ويزرزر الزوزور
وعرائس النارنج تحلم فى الندى ... فيرف فيها طيفه المسحور
كانت لنا.. يا ليتها دامت لنا ... أو دام ينثر لحنه الزرزور...

وتذكرت عند السياج أزاهرا ... صفراء رفت فى ظلال العوسج
زهر القطيفة. كيف خان عهودها ... نَسِيَ الهوى من عطرها المتبلِّجِ
وتذكرت فى رعشة لما سبا ... زرزورها منها ولم يتحرجِ
وهنا تمشت فى الشجيرة خلجة ... ويكت حنيناً للشذى المتأرجِ...
كانت لنا.. يا ليتها دامت لنا ... أو دام يهتف فوقها الزرزور...

***

وتذكرتْ شفقاً توهج حمرة ... خلل الغيوم على ربا الآصال
وبدت غصون الجازورين كأنها ... قلع ترفرف فى بحار خيال..

***

وهنا تحركت الشجيرة فى أسى ... ويكى الربيع خيالها المهجور
وتذكرت عهد الصبا فتنهدت ... وكأنها بيد الأسى طنبور...

***

وتذكرت شجر النخيل وهدهداً ... قد كان يقصدها صباح مساء

وتـــذكرت فى اليوســـفى يمامـــة ... كانـــت تنـــوح الليلـــة القمـــراء

***

وهنـا تحركـت الـشجيرة فى أسـى ... ويكـى الربيـع خيالهـا المهجـور
وتـذكرت عهـد الـصبا فترنحـت ... وكأنهـا بيـد الأسـى طنبـور

***

وضفت على كل الغصون سحابة ... وزكـا الغـصين وفـتَّح النـوار
وتهلـل الـزرزور فى أوراقهـا ... وزهـا الـسياج وفاحـت الأعطـار

***

حلمـت بـأرض فى الخيـال سحيقة ... فى ذلـك الأفـق القـصى النـائي
وهنـاك تحـت سمانجون[1] سمائها ... تاقـت إلى أحلامهـا الزرقـاء
خلـدت إلى صـمت هنـاك مخـيم ... تـسجو عليـه خوافـق الأفيـاء
هى جنة الأشجار والأظلال والـ ... أعطـار والأنغـام والأنـداء

***

يتزاهـر البـشنين فـوق شـطوطها ... ويغـازل الـدفلىُّ زهـر اللـوتس
وعـرائس النـارنج فـاح عبيرهـا ... بالنحـل تحلـم فى الـسكون المـشمس
وهنـاك زرزور يغـرد دائـماً ... ويقـص أحـلام الزهـور الـنعس
يـروى لهـا أسـطورة سـحرية ... ممـا يفـوح بـه خيـال النـرجس
كانـت لنـا.. يـا ليتهـا دامـت لنـا ... أو دام يهتـف فوقهـا الـزرزور

***

نـارنجتي. تـالله مـذ فـارقتني ... وأنـا حليـفُ كآبـةٍ خرسـاء
أصبحت بعدك فى انقباض موحش ... وكـأننى منـه مـساء شـتاء
تستـشرف الأعطـار فى آفاقهـا ... روحـى إليـك وراء كـل فـضاء
وتـرف فى دهليـز كـل أشـعة ... قمـراء أو ترنيمـة بيـضاء...

***

(١) لون زرقة السماء والكلمة فارسية.

قد كنت أرجو أن تكون نهايتي ... في ظل هذا السور حيث أراك
ويكون آخر ما يخدر مسمعي ... زرزورك الهتاف فوق ذراك
ويطوف في غيبوبتي فيفيقني ... فجر قصير البعث من رياك
والآن إذ عجل القضاء فإنما ... سيقوم في الذكرى خيال شذاك...

***

كانت لنا عند السياج شجيرة ... ألف الغناء بظلها الزرزور
طفق الربيع يزورها متخفياً ... فيفيض منها في الحديقة نور
حتى إذا حل الصباح تنفست ... فيها الزهور وزقزق العصفور
وسرى إلى أرض الحديقة كلها ... نبأ الربيع وركبه المسحور...

***

كانت لنا.. يا ليتها دامت لنا ... أو دام يهتف فوقها الزرزور

إلى ... جنا الفاتنة
فى مدينة الأحلام
مهداة إليها مع أزهار سحرية
من حدائق الخيال وبساتين الشفق

لا تلحى على أن أتركك وأرجع
عنك، لأنى حيثما ذهبت أذهب
وحيثما بت أبيت، شعبك شعبي
وإلهك إلهي، حيثما مت أموت وهناك
أدفن – هكذا يفعل الرب بي، وهكذا
يزيد – إنما الموت يفصل بينى وبينك
«إصحاح راعوث – التوراة»

هـا هـو الليـل قـد أتـى فتعـالي ... نتهـادى عـلى ضـفاف الرمـالِ
فنـسيم المـساء يـسرق عطـراً ... مـن ريـاض سـحيقة فى الخيـالِ

***

صـوَّر المغـرب الـذكى رباهـا ... فهـى تحكـى «مدينـة الأحـلام»
نفحـت فى الخيـال منهـا زهـور ... غـير منظـورة.. مـن الأوهـام

***

ووراء الـسياج زهـرة فُـلٍّ ... غازلتهـا أشـعة فى المـساء
نـشر النـسمُ سرهـا وهـو يـسري ... فى مـروج مطلولـة الأفيـاء

***

ودهـاليز مـن ظـلالٍ ونـور ... صـورت سـحرها يـد الأطيـاف
عـشش البلبـل الخيـالى فيهـا ... سـاكباً لحنـه الحنـون الـصافي

***

إن هـذى الأزهـار تحلـم فى الليـ ... ـل، وعطـر النـارنج خلـف الـسياج

وخريـر الميـاه، والـشفق الـسحـ ـر، وهمساً مـن النـسيم الـسّاجي
والنـدى، والظـلال تـنعس فى المـا ء، وهـذا الـشعاع حلـف الغـمام
بعـض ألحانـه تـأنق فيهـا فـتراءت فى هـذه الأجـسام

***

قبـل هـذى الحيـاة كنـت أصـلي يـا حيـاتى لحـسنك المعبـود
فيـك أفنيـت أدمعـى فى غنـائي فيـك عفـرت جبهتـى فى سـجودي

***

وعـلى مـذبح الغـرام تقربـ ـت بروحـى فى ذلـة وخـشوع
غـير أنـى رأيـت هـذا قلـيلاً فتقربـتُ بعـدها بـدموعي

***

كنـتِ فى معبـد الخيـال ترفـ ـين إلهـاً.. وكنـت مـن عبـدانك
كـم بعثـتُ الأشـعار فيـه مزاميـ ـر.. تجيـب الحـزين مـن ألحانـك

***

كنـتِ فجـراً، وكنـتُ فيـه ضـباباً شـاع فى أفقـه الـوضيء فتاهـا
وهبطـتُ الحيـاة شـعلة تقديـ ـس، وجئـتِ الحيـاة أنـت إلهـاً

***

أنـت لحـن.. مقـدس.. علـوي قـد تهـادى مـن عـالم نـوراني
سـمعتْ وقعـه الـسماوى روحـي فأفاقـت فى معبـد الأحـزان

***

أنـت حلـم. منـورٌ.. ذهبـيٌّ طـاف فى أُفْـقِ عـالم مـسحور
وتجـلىَّ عـلى غياهـب روحـي بجنـاحٍ مـن الـضياء البـشير

***

أنـت عطـر مجـنح شـفقي فـاوحَ الـروحَ فى همـود الـذهول
قـد سرى فى الخيـال طيـب شـذاه مـن رهـور فى شـاطئ مجهـول

***

أنت ظل مقدس.. أنت كهف ... طائفي.. فى ربوة الأحلام
غمر الروح فى سكينتها السحـ ... ـر فتاهت عن عالم الآلام

***

أنت كوخ معشوشب.. فى رباه ... مقمر الصمت.. سرمدى الخيال
نعست روحى الكليلة نشوى ... فيه ترعى فجرى هذا الجمال

***

أنت صمت مخيم.. ففضاء ... فظلام مكوكب.. فنهار
فهمود تدب فيه حياة ... ويغنى فى فجرها النوبهار

***

أنت كل الحياة.. أنت كياني ... أنت روحى أبصرتها فى سباتي
أنت وحيى مجسداً.. أنت لحني ... يا سماءً على سماء حياتي

***

أنت أغويتنى بأن ألقاك ... خلف سور الخيال.. فوق رباك
غير أنى بحثت عنك طويلاً ... وأخيراً نعست تحت ذراك

***

أيقظينى من الذهول.. وغني ... يا ملاكى على طلول حياتي
وارشدينى إلى الضياء.. وإلا ... فاتركينى أهوى إلى ظلماتي

***

وعلى عالمى الشتائى فيضي ... نور دفء يفنى ظلامى الحالك
وارفعينى كمعبد قدسي ... تتهادى به طيوف جمالك

***

إننى فى الظلام أنصب وحدي ... خيمة للغناء.. من آلامي
فاسمعينى فإننى سأغني ... لك «جتا» فى وحدتى وظلامي!..

***

حدائق الشفق

صورة رمزية لمسارح القمر و الفجر

بين الدجى واحمرار شَعَّه الشفقُ ... النور يرقص فى عينى ويأتلقُ
لا هدأة تسعد الحيران لا سِنَةٌ ... تقر عينى بها قد شفها الأرق
فلا أرى غير أحلام مكوكبة ... وغير رسم سماء بات يحترق

***

هذا النهار خلال السحب يظهر لي ... لقد لمحتُ على الوادى بشائره
تلوح شاحبةً فى الشرق حالمة ... توشِّع السحب الدنا ضفائره
وأنت.. نافورة الحسن التى خفيت ... أيان ألقاك.. أو ألقى مصادره؟

***

ذهلتُ فى حلم غافٍ وخيل لي ... أنى عبرت طريقاً كلها ظلم
لم يغشها من بنى الإنسان مقتحم ... قبلى وما وطئت أرضاً بها قدم
تحف دغلاً تثير النفس وحشته ... الصمت يحكمه والليل والأجم!

***

وكانت السحب الغيماء سارية ... على المحيط خفاف الركب فى سرب
قد أبدعت صبغ وشى من مطارفها ... فى حمرةٍ عجبٍ، فى فتنة ذهب
وترقص الأنجم الزهراء رقصتها ... فى مطلق من أثير الجو ملتهب!

***

أحسست بالقلب ناراً طاف طائفها ... لما رأيت غمير البحر قد سطعا
وقفت منذهلاً، أرعاه منفعلاً ... كأن نورَ إلهٍ فوقه طلعا
أحنيت رأسى إجلالاً وتكرمة ... له وظلت من التقديس مختشعاً

***

وبينما أنا أرعى الأفق حيرانا ... والنهر يبدو حيالاً فيه نعسانا
إذ الضباب يغشى الكون أجمعه ... ويحجب النهر أمواجاً وشطآنا

فلـم أر الجَـزْرَ يـسرى فى مـساربه ... مفضـضاً سـاحِرَ التركيـبان فتانـا

***

كـان الظـلام فويـق النهـر ينحـدر ... والـصمت يـصحبه والخـوف والحـذر

هنـاك أبـصرت أسرابـاً مزوفـة ... مـن الـضباب تـولى سـوقها الـذعر

كأنهـا وهـى تجـرى فى مواكبهـا ... يخيفهـا غـائر فى الأرض معتكـر

***

أمـا الـذى وشـع الأمـواه بـالنور ... فـزورقٌ ناصـع الألـوانِ بللـوري

بينـاه فى ثـائر الأمـواج مـضطرب ... يختـال مـا بـين تـصعيد وتغـوير

بـدا الـدليل لـه فى الليـل منبهـراً ... فى لؤلـؤى مـن الأنـوار مـسحور

***

لم يـشهد الكـون فى آزالـه أبـداً ... هـذا الجلال الـذى يـسرى عـلى المـاء

قد ظل نجـم الـدجى سهمان يقذفه ... بأسـهمٍ تتهـاوى منـه وضَّـاء

صيغتْ من الليلك الغافى أشعتها ... فأصـبحتْ بـين بيـضاء وزرقـاء..

تأملات
أو
حياة شاعر

غداً يا خيالى تنتهى ضحكاتنا ... وآلامنا تفنى وتفنى المشاعر
وتسلمنا أيدى الحياة إلى البلى ... ويحكم فينا الموت والموت جائر

***

جلستُ على الصخر الوحيد وحيداً ... وأرسلت طرفى فى الفضاء شريدا
وكفكفتُ دمعاً.. لا يكفكف غربه ... وواسيت قلباً فى الضلوع عميدا
أرى صفحة الآمال قد ضاق أُفقُها ... ولاح على اليأس البعيد مديدا
لقد عشتُ فى دنيا الخيال معذباً ... فيا ليتَ شعرى هل أموت سعيدا؟!

***

كأن حياتى غنوةٌ بدويةٌ ... شدتها الليالى للقرون بلا معنى
كأنى أنا فيها شجى نغماتها ... أقامت لها ذكرى تحف بها الأذنا!
لئن فاتنى عهد الشباب ولهوه ... فإنى بعمرى لست آبه أو أعنَي
فرب هواءٍ طاف فى اللحن والمحى ... يخلد عن ريح معمرة قرنا

***

لقد كنتُ فى الدنيا جمالاً يزينها ... بما شاده شعرى على هذه الدنيا
خلقت لروحى سحرها..لا لغيرها ... ومن أجلها أقضي، ومن أجلها أحيا

***

إذا ذبلَ النارنج عاش عبيره ... وكان له فى الوهم من نفحه محيا
ويخلد بعد البدر فى الفكر رونقٌ ... يغذى خيال الشعر والحب والوحيا

***

أغنية النخيل

قد طاب لى مقيلي ... فى سهلك الجميل
فى ظلك الظليل ... يا شجر النخيل
يا جنة الظلال ... يا مسبح الخيال
ويا جنى الدوالي ... يا شجر النخيل

***

قامتك الهيفاء ... ثمارك الحمراء
والخير والرخاء ... يا شجر النخيل
عروسة الصحراء ... يا كعبة الرجاء
ويا هدى التيهاء ... يا شجر النخيل

***

قد طاب لى مقامي ... ورفرفت أحلامي
فى ركنك الحرام ... يا شجر النخيل
مطيتى استريحي ... فى جنبها المريح
فى ظلها الفسيح ... فى جنة النخيل...

***

obeikan.com

العودة
(عودة الشاعر إلى قريته)

رجعت إليك اليوم من بعد غربتي ... وفي النفس آلامٌ تفيض ثوائرُ
رجعت وعقلي تائه الفكر شارد ... وأُبتُ وقلبي واهن الخفق خائر
فيا أرض أحلامي أألقى طفولتي ... ويسعدني يوم من العمر آخر
تعسفت فيك الليل والريح صرصر ... وخضت إليك الموج والنهر ثائر
أتيت لألقى في ظلالك راحة ... فيهدأ قلبي وهو لهفان حائر
أموت قرير العين فيك منعماً ... يخدرني نفح من المرج عاطر
ويلحفني هذا البنفسج ولتكن ... مسارح عيني لربى والمخاضر
وآخر ما أصغى إليه من الصدى ... خريرك يفني وهو في الموت سائر
ولكن بلا جدوى أتيت فلم أجد ... سوى قفرةٍ أشباحُهَا تتكاثر
وقد نسجتْ أيدي الشتاء سياجها ... عليها وأنوار الظلام تحاصر

***

لقد رنقت[1] عين النهار وأسدلت ... ضفائرها فوق المروج الدياجر
وقد خرج الخفاش يهمس في الدجى ... ودبت على الشط الهوام النوافر
وطارت من الجميز تصرخ بومة ... على صوت هِرٍّ في الدجى يتشاجر
وفي فترات ينبح الكلب عابساً ... فيعوى له ذئب من الحقل خادر

***

مشيت وحيداً مطرق الرأس باكياً ... وقد شردتْ في الحزن مني خواطر
حزيناً تهادى بي الظلام، كأنني ... إلى الأفق المجهول في الليل سائر
لقد أشعلت كل المآذن نورها ... ولاحت على الأفق البعيد المقابر
وقد عقدت نار العروش سحائباً ... عليها.. وفاحت بالدخان المجامر

(١) الترنيق اختلاج العين عند النوم.

ومن تلعة تبدو البروج وفوقها ... حمام على الصمت المخيم ذاكر
ينادى أليفاً ضل فى الدغل مسلكا ... ولم يبصر الأبراج والسرب عابر
وقد جمش البرد الشفيف جناحه ... فمدتْ لتتف الريش منه مناقر
يراعى نهاراً.. ليس يقبل ليله ... من الفخت[1] فيه تستكن الهوادر
وقد خيمت فوق العرائش وحشة ... وصمتٌ على أوراقها الصفر ناشر
شعور انقباض، فى الظلام ووحشة ... وصمت، وحزن، شدَّ ما أنا ناظر
فمن أين قلبى يستمد خفوقه؟ ... ومن أيها لى تستمد المصادر؟

***

وفى مهبط الوادى تقوم عرائش ... من الكرم، والناطور فى الليل ساهر
وقد أشعل النيران فيها ليصطلي ... فرف لهيب فى العرائش واهر
يزمر فى الأرغول والليل سامع ... ويصغى إلى الأوهام والليل زامر!!

***

أوى السهل فى صمت كئيب ووحشة ... تخيم فوق الليل والكون غامر
فمن أين قلبى يستمد خفوقه ... ومن أيها لى تُستمد المصادر

***

بدا الصبح فوق المرج أصفر ناحلاً ... فلاحظه زهر الربى وهو خاثر
وما نفحتْ فوق الرباوة زهرة ... ولا رفَّ فى هذى الخمائل طائر
وقد نتف الشحرور فى الروض ريشه ... وحُلَّتْ من الصفصاف فيه ضفائر

***

لقد خف نسم الصبح يهمس ناعياً ... إلى السهل.. أن قد فارق الكونَ شاعر
لذا نقس النحل الزهور فجلجلت ... ونابت عن الأجراس هذى الأزاهر

***

(١) شعاع القمر أول ما يبدو.

من شعر الريف

اليمامة...

صور رمزية للطبيعة وقت الظهيرة فى الصيف

رددى فى الكـــون ذكـــرى الهـــديلِ ... وَتغنِّـــى يـــا شـــهر زاد النخيـــلِ
أى ذكـــرى تـــشجيك، أى خيـــال ... راح يـــضنيك مـــن فـــراق خليـــل
كثـــرتِ حولـــك الأقاويـــل حتـــى ... أصـــبح الـــروض بـــين قـــالٍ وقيـــل
لـــست أدعـــوك غـــير روح مَـــرُوعٍ ... لاذ بالنخـــل خيفـــةً مـــن رحيـــل

***

خـــيم الـــصمت فى الظهـــيرة إلا ... مـــن غطـــيط يَغْـــشَى ذرى الأزهـــار
إنـــه النحـــل باعـــث مـــن غنـــاء ... وهـــو يجنـــى الزكـــاة للنوبهـــار
وغفـــا الهدهـــد المـــصلى وآوى ... جنـــدب الـــروض فى ذرا الأجحـــار
غـــير ترديـــدة الهـــديل تـــدوي ... مثـــل حـــزن عـــلى الظهـــيرة ســـاري

***

ضـــمخ الـــصمت مـــن شـــذا الحلفـــاء ... والأريـــج الشمـــسى مـــلء الجـــواء
وزهـــور اليقطـــين تـــسكب فيـــضاً ... مـــن لهيـــب ومـــن غطـــيط غنـــاء
كمقاصـــيرِ جنـــةٍ نزلتهـــا ... فئـــة تـــستريح غِـــبَّ عنـــاء
عـــبرت مـــوطن الهـــديل وجـــاءت ... بالـــذكى الـــساجى مـــن الأنبـــاء

***

أمسية شتائية في ضاحية

المساءُ المغيم الذهبيّ ... والغناء المعطر الشفقيّ
وخيال الأشجار يحلم فيها ... الأريج المجنح الليليّ
والخرير البنفسجي يغني ... في سراه بها الغدير الخفيّ
صُوَرٌ قد زانها في خيالي ... وسبانى جمالها القدسيّ!

***

المساء المغيم الذهبيّ ... والغناء المعطر الشفقيّ
فارسٌ لاهث يسير إلى ... الغرب يغشّيه بيرقٌ لهبيّ

إلى القمر...

مهـــداة إلى ليـــالى الحـــصاد
القمريـــة الجميلـــة وإلى أكـــداس
الـــسنابل الجافـــة التـــى تحمـــل إلى
الـــنفس أعطـــاراً كأنهـــا أحـــلام
من المجهول...

لياليـكَ مـن ليـل الفـراديس أبهـجُ ... ونـورك أزهـى فى العيـون وأبلـجُ
كأنـك عـين الله ترعـى عبادهـا ... وتبـصر مـا تحـوى القلـوب فـتخلج
كأنـك عـين ثـرة فـاض فيـضها ... بهـا زئبـق أو فـضة تترجـرج

***

كـأن الـدجى بحـر مُسفٌّ جناحـه ... كأنـــك فيـــه درة تتـــوهج
كأنـك فى روض الـسموات زهـرة ... كـــأن ســـناك عطرهـــا المتـــأرج
كأنـك فى خـد الـسموات دمعـة ... هَمَتْ مـن عيـون باكيـات، تـدحرج
كأنـك طـاووس مـدلٌّ، كـأنما ... نجـوم الـدجى وُرْقٌ حواليـك تهـزج
كأنـك مزمـار مـن العـرش صـافر ... كـــأن صـــداه نـــورك المتـــبلج..!

***

عَمَرْتَ طـويلاً فى الـدياجير سـاهراً ... كـسيفاً بأكفـان الظـلام مـدرج
فيـا بـدرُ صـبراً والليـالى قـصيرة ... وسـوف تقـر النائبـات فتـثلج...

***

المغرد...

مهداة إلى ذلك الطائر الخطار الأنيق، ذى البرنس الأصفر، والقلنسوة الرمادية الذى أصغيت إليه هنيهة المساء وهو يرتل تسابيح الجمال فى محراب الطبيعة..

يا راحةً فى ظلمة اليأسِ ... فيها صفاءُ القلبِ والنفس
أرقصت قلبى من مرقرقة ... خمر... تصفق فى مدى الحسِّ
هل أنة، أم رنة صدحتْ؟ ... أمْرٌ به الأفهام فى لبس!
هذى الأغانى زفرة صعدت ... وآستْ فجلت عن دوا النُّطْس
إنى لمفضوح بعبرته ... يرثى لمفضوح من الجرس
ليس الذى تشفيه أدمعه ... مثل الذى يشدو من الحبس!

***

بالله خبرنى أمن ورس ... ريشت؟ أم من صبغة الشمس
صفر الغلائل... تزدهى طرباً ... حتى لقد ثملت بلا رس[1]
والدوح والأغصان مائسة ... والماء والأظلال فى مسِّ
نظارة لمغرد ندب ... ينفى الهموم، وطارق النحس
يسمو ويهوى فى السما غَرِدًا ... كشرارة طارت من القبس
أو سهم رامٍ راحَ عن قوس ... أو حلم صبٍّ فى هوى الأمس
متهللاً.. متبسماً.. طلقاً ... يطأ النجوم ورائق الغرس

(١) الرس هو دبيب الخمر.

يصل السماء يمس جلدتها ... ويحط بالغدران فى غطس
فرحاً يدرُّ عليه صفوته ... فرح الغرام ونشوة الأنس
مثواه فى الأجواء مرتفع ... بينا هواه بيننا يرسي!

***

ترنيمة الإصباح رائقة ... فى الجو صافية من الرجس
تسرى إلى الغيطان مترعة ... منها الرياض بغير مَا حدس
فوق الينابيع التى غمرتْ ... ساحَ الحقول بدائم التبجس
وسلاسل الأنوار دافقة ... غطت ذرى الأشجار بالغمس
ورمت قلاع المدن صائبة ... والشمس تعلو الأرض فى خلس
يسمو إليها صوته صعداً ... ويصافح الأرواح باللمس

***

فى حمرة الشفق التى شرقت ... فيها الزهور ويانع الورس
والنبت والأشجار لامعة ... من حمرة الأضواء فى لِبس
فيها تنام ممتعاً ثملاً ... من رحمة الرحمن فى حرس...